السَّكِينَة

هِبَةٌ رَبَّانِيةٌ .. وسُنَةٌ نَبَوِيةٌ

تأليف

د. زَاهِـر بن محمَّد بن سَعيْد الشِّهري

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مقدمـة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

في عالم متغير مليء بالحركة والاضطراب، وبالنَّصب والصخب، في الشارع وفي البيت، في السيارة وفي العمل، بل حتى في الرحلات وأوقات الاستجمام والراحة؛ لم ينفك بعضهم من صخب وقلق واضطراب.

"إن العصر الذي نعيشه هو عصر [زاد فيه] القلق والاضطراب، ومن الحقائق المذهلة والثابتة معاً أن [بعض] أسرة المستشفيات يشغله أناس مرضى بالإرهاق العصبي الذي منشأوه القلق.

وإن الخبراء... يشكون من مرارة الكفاح الدائر في ... الحصول على المال والمكاثرة به، فالأفراد والجماعات منطلقون في سباق رهيب لإحراز أكبر حظ مستطاع من حطام الدنيا، وقواهم البدنية والنفسية تدور كالآلة الدائبة وراء هذه الغاية، وقد احتشدت فيها جميع الخصائص الإنسانية الدنيا والعليا، إلا أن الآلات قد يَقطُر عليها من الزيت ما يرطب حدة الاحتكاك في حركتها، ويمنع الشَرَر المتولد من إحراقها، أما أعصاب الناس في عراك المادة الرهيب فكثيراً ما تفقد هذا العنصر الملطف، وتَمضي مستثارة يستبد بها القلق والضيق، حتى تشتعل فتأتي على الأخضر واليابس"(١).

وقد كان الصينيون الأقوياء في زمن قديم إذا أرادوا تعذيب أعدائهم، قيدوهم ووضعوهم تحت حنيفة من الماء؛ فتقطر على رؤوسهم قطرة قطرة، فإذا مرَّ وقت

(١) جدد حياتك، مُحَمَّد الغزالي ص ٣٢.

على حالها هذا، فإنها تصبح كالمعاول، وتدفع بهم إلى غياهب الجنون.

وإن حال الإنسان في هذا الزمان، شبيه بحال هؤلاء الأسرى، الذين يتساقط عليهم القلق والهموم والاضطراب من كل مكان، فدفع البعض إلى حالة تشبه الجنون.

ولذا فقد نادى العقلاء المدركون لخطر الحال والمآل إلى رفع شعار (**القوة في السرور**) أو (**دع القلق وابدأ الحياة**).

والمسلم حري به أن يرفع شعار (السَّكينة)، فهي هبة ربانية، وكلمة قرآنية، وسنة نبوية، ارتبط ورودها في القرآن الكريم والسنة النبوية بأمور جليلة، ومواقف عظيمة، وشدائد متنوعة، من تأمل مواضع ورودها، وأعملها في حياته؛ أحس بالعافية والطمأنينة.

فدونك إشارات في كلمات عن السَّكينة، ليست وليدةَ لحظة، أو تأليف جِلسة، بل هي معايشة وممارسة واقعية، وذلك أصدق في نقل التجربة، وأعدل في حكاية الموقظة.

إنها كلمات مختصرة، تَجمع المتفرق، وتنظم المتناثر؛ لتعلم أهمية السَّكينة، وعظم حث الشريعة عليها، ولتفتح لك – بإذن الله – أبواباً ونماذج كثيرة على السَّكينة؛ لعلك تجد فيها ما يعيد إلى نفسك سكونها واطمئنانها، ويلم ما تفرق من شعثها، ويجمع شتات قلبك وروحك.

كتبه

د. زَاهِـر بن محمَّد بن سَعيْد الشِّهري

في وقت حظر التجوال بسبب وباء (فيروس كورونا) من عام ١٤٤١هـ

zamohsa@hotmail.com

تويتر @zaher١٤٣٣

معاني السَّكينة ومرادفاتها

معاني السَّكينة:

يدور تعريف (السَّكينة) على الطمأنينة، والثبات، والقرار، والحركة المحمودة[١].

قال ابن عاشور رحمه الله: "والسَّكينة: اطمئنان النفس عند الأحوال المخوفة، مشتقة من السكون"[٢]، وقال عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله: "والسَّكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد"[٣].

مرادفات السَّكينة:

الوقار، والرحمة، والهَون، والحلم، من الألفاظ المرادفة للسكينة، وقد يُظن أن معناها واحداً، بينما عند التأمل نجد بينها اختلافاً من جهة المعنى، ومن جهة المتعلق، ومن جهة المحل القائمة به، فهي من سبيل المرادف المكافيء لا المرادف اللفظي.

وذلك أن السَّكينة هي حالة تقوم بالقلب، وتكون أحياناً في حال الشدة والحزن وبعد الألم.

وأما **الوقار** فهو هيئة تقوم بالبدن، وتظهر آثاره على الجوارح، فالسَّكينة أمر نفسي داخلي، والوقار أمر بدني ظاهري، فالوقار يعكس ما في القلب من سكينة، والسكينة تَظهر آثارها وقاراً على الجوارح، فهما متلازمان[٤].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٨٨.

(٢) التحرير والتنوير ٦/٢٩٠.

(٣) تفسير الكريم الرحمن ٣/٢١٦.

(٤) انظر: فيض القدير للمناوي ١/٣٧٨.

وأما **الرحمة والهَون والحلم** فهي صفات متعلقة بأحوال النفس، **فالرحمة** رقة وعطف يبعث على الإحسان للمخلوقات، **والحلم** صفة تبعث على الأناة وعدم العجلة، ولها ارتباط بالرحمة من جهة أنه ثمرة من ثمراتها، وناتج من نتائجها.

وأما **الهَون** فهي حالة تقوم بالبدن من الثبات في الحركة، كما قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان:٦٣].

وعلى كل حال فالمؤمن مطلوب منه الرحمة، والرأفة، والأناة، والحلم، والهَون، والسكينة.

حقيقة السَّكينة

اختُلفَ في حقيقة السَّكينة، هل هي قائمة بنفسها أو هي أمر معنوي، على قولين:

القول الأول: أنها قائمة بنفسها.

واختلف أصحاب هذا القول في ماهيتها على أقوال[١]، أقربها أنها ملك من الملائكة، قال علي بن أبي طالب ﷺ:"إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، مما كنا نبعد أصحاب محمد أن السَّكينة تنطق على لسان عمر ﷺ" قال ابن الأثير ﷺ معلقاً "السَّكينة هنا ملك"[٢].

ومما يدل على هذا حديث البراء بن عازب ﷺ قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بِشَطَنَيْنِ، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له فقال: "**تلك السَّكينة تنزلت بالقرآن**"[٣]

القول الثاني: أن السَّكينة معنى من المعاني التي تقوم بالنفس، وهذا ما عليه كثير من العلماء، بل جلهم، ويدل لذلك الآيات من كتاب الله ﷻ، والأحاديث من سنة النبي ﷺ، ويدل عليه تعريفها الاصطلاحي واللغوي، قال ابن حجر العسقلاني ﷺ جامعاً بين القولين السابقين: "والذي يظهر أنها مقولة بالاشتراك على هذه المعاني، فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به"[٤].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ٩/٧٠.

(٢) انظر: الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي ١/٢٥.

(٣) رواه البخاري ٦/١٨٨ (٥٠١١)، ومسلم ١/ ٥٤٧ (٧٩٥).

(٤) فتح الباري ٩/٧٠.

وقال النووي رحمه الله: "قد قيل في معنى السَّكينة هنا أشياء، المختار منها: أنها شيء من مخلوقات الله تعالى؛ فيه طمأنينة، ورحمة، ومعه الملائكة، والله أعلم"(١).

ومما لاشك فيه أن الملائكة تنزل على المؤمنين بالثبات، الذي هو من السَّكينة، بل هو السَّكينة قال الله عز وجل: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ [الأنفال:١٢]، وقال عز وجل: ﴿۞لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨].

(١) شرح صحيح مسلم ٦/١١٧.

السَّكينة فطرية أو مكتسبة ؟

من الأخلاق والخِلال ما هو جبلة في العبد، ويزداد اتصافه به بكثرة ممارسته له، وتخلقه به، وبعض الأخلاق والخِلال مكتسب، يحتاج إلى ممارسة، ونقل من العوائد، وقطع للعلائق والعوائق؛ ليتقلَّد علا المكاسب والأخلاق.

وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى أن السَّكينة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب، فقال: "هي موهبة من الله تعالى، ليست بسببية، ولا كسبية"(١).

وكلامه رحمه الله محمول على أصل السَّكينة، وأنها منزلة من الله عز وجل كما جاء في الآيات، وهذا النوع غير مقدور عليه من قبل العبد، لكن الله يجعله في القلب، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ...﴾ [الفتح:٤]

ومثل هذه السَّكينة قد لا تكون مقدورة، ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فضلاً منه وجزاءاً على عمل سابق(٢)، وبحسب قوة إيمان العبد وقبوله يكون له إمداد من السكينه.

وَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّحْمَنِ لَيْسَتْ ... تَحْصُلُ بَاجْتِهَادٍ أَوْ بِكَسْبِ
وَلَكِنْ لَا غِنَى عَنْ بَذْلِ جُهْدٍ ... بِإِخْلَاصٍ وَجِدٍّ لَا بِلَعْبِ
وَفَضْلُ اللَّهِ مَبْذُولٌ وَلَكِنْ ... بِحِكْمَتِهِ وَعَنْ ذَا النَّصِّ يُنْبِي
فَمَا مِنْ حِكْمَةِ الرَّحْمَنِ وَضْعُ الْ ... كَوَاكِبِ بَيْنَ أَحْجَارٍ وَتُرْبِ
فَشُكْرًا لِلَّذِي أَعْطَاكَ مِنْهُ ... فَلَوْ قَبِلَ الْمَحَلُّ لَزَادَ رَبِّي (٣)

(١) انظر: مدارج السالكين ٢/٤٧٠.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/١٢٧.
(٣) انظر: مدارج السالكين ٢/٤٧٥.

فعلى العبد أن يتحرى أسباب حصول السَّكينة، ومواضعها، وقبل ذلك وبعده، يسأل الله ﷻ أن ينزلها في قلبه.

والعبد يتأثر بمن حوله فيكتسب السَّكينة أو الغلظة والجفاء، وقد أخبر النبي ﷺ أن السَّكينة والوقار في أهل الغنم، وأن الفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "... **وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَهْلِ الخَيْلِ وَالإِبِلِ، وَالفَدَّادِينَ أَهْلِ الوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ**"(١)

"فأخبر النبي ﷺ أن في رعاة الإبل الكبر والفخر والخيلاء، وفي رعاة الغنم السَّكينة والتواضع، فإذا كان الإنسان يتأثر ببهيمة لا عقل لها، ولا تفقه أنت مراد صوتها مع الاختلاف في المأكل والمشرب، فما ظنك بالإنسان الذي يبادلك الأحاديث، وتفقه قوله، بل قد يؤزُّك إلى هواه، ويزين لك الشهوات، أليس حقيقياً بأن تتأثر به؟!!"(٢)

ولهذا يقع التأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة، والمشابهة في الأمور الظاهرة؛ توجب المشابهة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي، والمشاركة في الهدي الظاهر؛ توجب أيضاً مناسبة وائتلافاً، وإن بَعُدَ المكان والزمان(٣).

---

(١) رواه البخاري ٤/١٢٧ (٣٣٠١).

(٢) خطوات إلى السعاده لعبد المحسن القاسم ص١٠١.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/٥٤٨.

السَّكينة في الاعتقاد

العقيدة مبناها على اليقين والثبات والاستقرار، فالإيمان بالله ﷻ، وبملائكته، وبكتبه، وبرسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره؛ وما تفرع عنها، هي أصول ثابتة، وعقيدة راسخة، لا تقبل الشك والارتياب، ويُخل بها التذبذب والاضطراب.

والعبد بحاجة إلى السَّكينة في عقيدته، فيكون ثابت الإيمان، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أهمية الثبات في العقيدة، وذمت المتذبذبين فيها من المنافقين، وتوعدهم الله ﷻ بالدّرك الأسفل من النار، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٥]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحُجُرات:١٥]

وقال: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:١٠]، وقال ﷻ: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٤٣]

وقال ﷻ في وعيدهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٤٥].

والعبد ينبغي أن يعمل من الأسباب ما يجلب له السَّكينة في إيمانه، وأن يتجنب من الأسباب ما يُنقص إيمانه، ويُقلل سكينته، أو قد يَذهب بهما.

والبدع والمعاصي تؤثر في الإيمان، وتُخل بكماله، أو تَذهب بجلاله، أو تُزيل إشراقه وحلاوته، وأما الشرك الأكبر فيُذهب الإيمان، وأما الأصغر فيُنقص كماله.

ومن خالف المنهج الصحيح، والمعتقد السليم، وقع في البدع والضلال، وحصل له من الشك والاضطراب والحيرة، بمثل ما آل إليه حال بعض رؤوس أهل البدع،

وما وصلوا إليه من حيرة واضطراب، وتمنى بعضهم أن يموت على عقيدة العجائز – عامة الناس – لأن قلوبهم ساكنة ثابتة، وإيمانهم صادق.

ومن **السَّكينة في المعتقد**: التسليم لنصوص القرآن والسنة، وعدم التعرض لألفاظها أو معانيها بتحريفات تحيل المعنى وتخرجه عن مقتضى لغة العرب التي نزل بها الخطاب، وعن مراد المتكلم من كلامه

قال محمد بن عثيمين رحمه الله: "وأنا لا أعتقد أن قلوب الذين يحرفون مطمئنة، وأن فيها السَّكينة أبداً؛ لأننا نقول له: ما الذي أدراك أن الله أراد هذا دون هذا؟! ولا يمكن أن يطمئن الإنسان على هذا المعنى وهو يعلم أنه سيقف بين يدي الله ويقول الله له: هل تشهد أني أردت بكلامي هذا؟ فمن يستطيع أن يؤدي هذه الشهادة؟!

لكن السَّالم الذي يمكن أن يجيب بالصواب، هو الذي يقول: نعم، أردت يا رب بكلامك هذا المعنى الذي سار عليه السلف؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٥]"[(١)].

(١) شرح ألفية ابن مالك ١٢٦/٣.

السَّكينة وقراءة القرآن

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، **إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ**، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"(١).

فتلاوة القرآن الكريم ومدارسته سبب لنزول السَّكينة، فكم من سكينة نزلت على حلقات القرآن في بيوت الله ﷻ..

وكم من سكينة نزلت على البلاد والمجتمع بسبب هذه الحلقات المباركة..

وكم من سكينة نزلت على الذين يتلون كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار..

وكم من سكينة نزلت على بيت مسلم جعل القرآن هِجَيراه وأنيسه، وذهاب غمه وحزنه، فشَعَّ فيه الضياء وتلألأ منه السَّنا، وأشرقت منه الأنوار: "**لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**"(٢) هكذا قالها النبي ﷺ وهو يستمع لقراءة أبي موسى الأشعري ﷺ.

---

(١) رواه مسلم ٤/٢٠٧٤ (٢٦٩٩).

(٢) رواه مسلم ١/٥٤٦ (٧٩٣).

وعن أسيد بن حضير ﷺ قال: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المِصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: **"تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ "**(١)

وقال البراء بن عازب ﷺ: قرأ رجل الكهف(٢)، وفي الدار دابة فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة، أو سحابة قد غشيته، قال: فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: **"اقْرَأْ فُلَانُ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ عِنْدَ الْقُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ"**(٣).

(١) رواه البخاري ٦/١٩٠ (٥٠١٨).

(٢) أي: سورة الكهف.

(٣) رواه البخاري ٦/١٣٦ (٤٨٣٩)، ومسلم ١/ ٥٤٨ (٧٩٥).

السَّكينة في الدعاء

قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس:٨٩].

قوله: (فَٱسْتَقِيمَا) أي: على الدعاء، والاستقامة في الدعاء؛ ترك الاستعجال في حصول المقصود، ولا يسقط الاستعجال من القلب إلا باستقامة السَّكينة فيه، ولا تكون تلك السَّكينة إلا بالرضا الحسن لجميع ما يبدو من الغيب[(١)].

والدعاء مناجاة بين العبد وربه ﷻ، يرفع العبد يديه إليه في سكون قلب، وخضوع جوارح، وخفض صوت، وذل نفس، ينادي ربه ﴿ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم:٣].

وكل من ناديته رفعت صوتك ليسمعك، إلا الله ﷻ، تناديه بصوت خافت خفي، وروح ساكنة، وقلب مخبت خاضع، فيجيب حاجتك، ويستجيب دعاءك.

وإن من الدعاء طلب السَّكينة من الله ﷻ فعن البراء بن عازب ﷺ قال: لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشَّعَر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب يقول:

" اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا "

قال: ثم يمد صوته بآخرها[(٢)].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/٣٧٦.

(٢) رواه البخاري ٥/١١٠ (٤١٠٦).

السَّكينة في أداء العبادات وخاصة أركان الإسلام

فالطاعات كلها موضع للسكينة، وسبب لحصولها، والسَّكينة مطلبٌ في القيام بالعبادة والطاعة، قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨] أي: تسكن وترضى.

فمن فَعَل الأوامر، واجتنب النواهي؛ فله نصيب من السَّكينة، فالسكينة وطمأنينة القلب؛ ثمار يجنيها أهل الطاعات، ولعلي أُشير لبعض مواضع السَّكينة في شعائر الإسلام – الصلاة والزكاة والصوم والحج — مقصداً وأثراً.

السَّكينة في الصلاة: وتشمل السكينة في المشي إليها، وفي الخشوع فيها، فأما المشي إليها فعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، **فَلاَ تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ**، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"(١)، وعن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَلاَ تَقُومُوا حَتَّى تَرَوْنِي **وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ** "(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فَلَا يَسْعَ إِلَيْهَا أَحَدُكُمْ، وَلَكِنْ لِيَمْشِ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ**، صَلِّ مَا أَدْرَكْتَ، وَاقْضِ مَا سَبَقَكَ"(٣).

ومعنى **(وعليكم السكينة)**: "أي الزموا السَّكينة في جميع أموركم سيما في الوفود على رب العزة، فالزموا الوقار في الهيئة؛ بغض البصر، وخفض الصوت،

---

(١) رواه البخاري ٢/٧ (٩٠٨)، ومسلم ١/٤٢٠ (٦٠٢).

(٢) رواه البخاري ١/١٣٠ (٦٣٨).

(٣) رواه مسلم ١/٤٢١ (٦٠٢).

وعدم الالتفات والعبث"[١]، فإذا كان هذا في المشي إلى الصلاة، فكيف بالسكينة فيها، وفي أداء أركانها، وواجباتها، وسننها وآدابها.

وأما السَّكينة والخشوع فيها، فقد قال الله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون:١-٢]، والخشوع يتضمن السَّكينة، ومنه حديث عمر ﷺ: حيث رأى رجلاً يعبث في صلاته فقال: "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه" أي: لسكنت وخضعت...

فعلم أن الخشوع فيه سكون وانخفاض؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول في حال ركوعه: (**اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي**)[٢]...، فوصف نفسه بالخشوع في حال الركوع؛ لأن الراكع ساكن متواضع...

وإذا كان الخشوع في الصلاة واجباً، وهو متضمن للسكون والخشوع، فمن نقر نقر الغُراب لم يخشع في سجوده، وكذلك من لم يرفع رأسه من الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن؛ لأن السكون هو الطمأنينة بعينها، فمن لم يطمئن لم يسكن، ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا في سجوده، ومن لم يخشع كان آثماً عاصياً ...فالسكون مشروع في جميع أفعال الصلاة بحسب الإمكان؛ ولهذا يسكن فيها في الانتقالات التي منتهاها إلى الحركة، فإن السكون فيها يكون بحركة معتدلة لا سريعة"[٣].

---

(١) فيض القدير للمناوي ١/٣٧٨.

(٢) رواه مسلم ١/ ٥٣٤ (٧٧١).

(٣) القواعد النورانية لابن تيمية ص ٧٧ وما بعدها.

السَّكينة في الصوم: فقد أمر النبي ﷺ بالكف عن الخصومة وقت الصيام، وأمر بالرد على من خاصمه أن يقول له: **(إني صائم)**؛ لأن الصيام يربي النفس على حسن الخلق، والحلم والأناة، وتحمل إيذاء الناس، ويعودها على كظم الغيظ، وسكون الغضب، قال ﷺ: "**إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْماً صَائِماً، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ**"[(١)]، فيحفظ الصائم نفسه من أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه، باستمكانها ممن غاظها، وانتصارها ممن ظلمها،

قال سليمان بن موسى: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، ودع عنك أذى الخادم، وليكن عليك سكينة ووقار، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء"[(٢)]

السَّكينة في الحج: لما دفع النبي ﷺ من عرفة وقد شنق للقصواء[(٣)] الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى "**أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ**" كلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلا، حتى تصعد...[(٤)].

ومن حج عرف قيمة هذه الوصية النبوية، فالحج مظنة الزحام، بل هو زحام؛ زحام أجساد، وزحام سيارات، وزحام أنفاس، مما يُنتج غضباً، ورفع أصواتٍ في بعض الأحيان، وبعضهم قد منحه الله قوة في بدنه، وصحة في جسمه، فيسرع في مشيه، فيصيب بالأذى كبار السن والضعاف من غيرهم.

---

(١) رواه مسلم ٢/٨٠٦ (١١٥١).

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ١٥٦.

(٣) هي ناقته ﷺ، قال أبو عبيدة: القصواء المقطوعة الأذن عرضاً.

(٤) انظر: صحيح مسلم ٢/٨٨٦ (١٢١٨).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إِنَّمَا كَانَ بَدْءُ الْإِيضَاعِ[١] مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، كَانُوا يَقِفُونَ حَافَتَيِ النَّاسِ حَتَّى يُعَلِّقُوا الْعِصِيَّ وَالْجِعَابَ[٢] وَالْقِعَابَ، فَإِذَا نَفَرُوا، تَقَعْقَعَتْ[٣] تِلْكَ، فَنَفَرُوا بِالنَّاسِ، قَالَ: وَلَقَدْ رُئِيَ ﷺ، وَإِنَّ ذِفْرَىْ نَاقَتِهِ لَيَمَسُّ حَارِكَهَا[٤]، وَهُوَ يَقُولُ بِيَدِهِ: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ**"[٥].

السَّكينة في تشييع الجنازة: ويسن الإسراع بالجنازة؛ لقوله ﷺ: "**أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ**"[٦]، لكن لا يكون الإسراع شديدًا، ويكون على حامليها ومشيعيها السَّكينة، ولا يرفعون أصواتهم؛ لا بقراءة ولا غيرها من تهليل وذكر، أو قولهم: استغفروا له، وما أشبه ذلك؛ لأن هذا بدعة[٧].

قال ابن تيمية رحمه الله: "قال قيس بن عباد – وهو من كبار التابعين: (كانوا يستحبون خفض الصوت: عند الذكر، وعند القتال، وعند الجنائز)، وكذلك سائر الآثار تقتضي أنهم كانت عليهم السَّكينة، في هذه المواطن، مع امتلاء القلوب بذكر الله، وإجلاله وإكرامه"[٨].

---

(١) حمل البعير ونحوه على الإسراع في السير عند الإفاضة.

(٢) (الجعاب): وهي الكنانة التي تجعل فيها السهام، و(القعاب): وهو القدح الضخم الغليظ من الخشب.

(٣) أي ضرب بعضها بعضاً، فكان منها صوت وصخب ينفر منه الناس والدواب

(٤) (الذفر): أصل أُذنها، و(حاركها): أعلى الكاهل، وهو مجمع الكتفين.

(٥) رواه أحمد ٤/ ٧٥ (٢١٩٣)، وحسن إسناده أحمد شاكر.

(٦) رواه البخاري ٢/ ٨٦ (١٣١٥)، ومسلم ٢/ ٦٥١ (٩٤٤).

(٧) الملخص الفقهي لصالح الفوزان ١/ ٣١٠.

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣٥٨.

السَّكينة في وقت الشدائد والمخاوف

إذا تأملت السَّكينة في وقت الشدائد، تجد أنها من أقوى عوامل النصر في جميع المعارك؛ يقابل هذا شدة الخوف والرعب في قلوب الأعداء، فهو أقوى أسباب الهزيمة، ولكي نقف على هذه المسألة نأخذ موقف النبي ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة النبوية، وفي بعض غزواته.

السَّكينة في الهجرة: لما أذن الله ﷻ لرسوله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة النبوية، خرج معه صاحبه وصدِّيق هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلما بلغا الغار، رأى أبو بكر رضي الله عنه أقدام المشركين على باب الغار، فقال للنبي ﷺ: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال ﷺ: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما"(١)، قال الله ﷻ مبيناً هذا الحَدَث وما حصل فيه: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠]

(فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ) أي أنزل الثبات والطمأنينة، والسكون المثبة للفؤاد، وهكذا المؤمن في خضم الفتن والبلايا، وعند نزول المحن والرزايا، يحتاج إلى سكينة من الله تعالى مثبِّته، وسكينة من الله ﷻ للجنان مطمِّنه، وسكينة من الله ﷻ للقلب مقـوِّيه، وسكينة من الله ﷻ بالنصر مبشرّة ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ

(١) رواه مسلم ٤/ ١٨٥٤ (٢٣٨١)

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠].

قال عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "وفيها فضيلة السَّكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته"(١).

ما أعظم السَّكينة إذا استقرت في القلب وتمكنت (فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ)، عندها تتطرد الخوف والحزن من القلوب، وتخالط بشاشة الإيمان سويداء الأفئدة، فلا حزن مع الله عز وجل، ومن كان الله جل جلاله معه؛ فماله وللحزن، إنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله سبحانه وتعالى، فمن حصل له فعلى أيّ شيء يحزن؟ ومن فاته الله سبحانه وتعالى فبأيّ شيئ يفرح؟

ترك الصحابة رضي الله عنهم ديارهم التي فيها ولدوا وتربوا ونشأوا، وخالطت بطحاؤها دماءهم وعروقهم، وتركوا أموالهم، وخرج بعضهم يحمل جسده وما عليه من ثياب، وبما يوصله إلى مقصده المدينة النبوية، فلم يصبهم الحزن والغم من فقد شيء؛ لأنهم وجدوا حلاوة الإيمان، وأنس السَّكينة، فنسوا كل تعب، وضحوا بكل غال وثمين، وربحوا الإيمان والسَّكينة ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة:٢٠٧].

السَّكينة في الحديبية: كانت غزوة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، قال عز وجل: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣/٢٣٩.

وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:١-٤].

فمن عوامل النصر إنزال السَّكينة في قلوب المؤمنين، قال الله ﷻ: ﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنَا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

وحينما أرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان ﷺ يفاوض أهل مكة على أن يسمحوا لهم أن يعتمروا ويطوفوا بالبيت، ثم يخرجوا عنهم، لكن المشركين رفضوا ذلك، كما قال تعالى: ﴿ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ... ﴾ [الفتح:٢٦] فأنزل الله ﷻ سكينته رسوله والمؤمنين، فقال ﷻ: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٦]

ولما قيل بأن عثمان ﷺ قد قتل، قال النبي ﷺ للصحابة ﷺ: (بايعوني على الموت) فبايعوه تحت الشجرة في الحديبية عن يقين وطمأنينة، فأنزل الله ﷻ السَّكينة عليهم، فقال: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحَا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨]، ففي صلح الحديبية كانت السَّكينة لها عامل كبير في موقف المؤمنين، وثباتهم أمام قريش عن بكرة أبيها وهم على مشارف الحرم(١).

السَّكينة يوم حنين: لما فتح النبي ﷺ مكة، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه، فسار إليهم ﷺ في أصحابه الذين فتحوا مكة، وممن أسلم من الطلقاء أهل مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً، والمشركون أربعة آلاف، فأُعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقال بعضهم: لن نغلَب اليوم من قلة.

(١) باختصار من دروس الهجرة لعطيه محمد سالم.

فلما التقوا هم وهوازن، حملوا على المسلمين حملة واحدة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول الله ﷺ، إلا نحو مائة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، وجعل النبي ﷺ يُرَكِض بغلته نحو المشركين ويقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب".

ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم: يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة، فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم الله المشركين هزيمة شنيعة(١)، قال الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة:٢٥]

إن في هذه الآية تنبيه على خطر العُجْب، وأنه سبب للهزائم والضعف والخور، بل قد يكون محبطاً للأعمال الصالحة، ولما أعجب المسلمون بكثرتهم في يوم حنين لم تغن عنهم من الله شيئاً.

وفي هذا درس عظيم وعبرة ألا يغتر عبد بما يملكه من مقومات في العَدد أو العُدد، فالنصر من عند الله ﷻ، و﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٩].

والنصر إنما هو في ميادين القلوب قبل ميادين الحروب، فمتى نصرنا الله ﷻ بإقامة شرعه، واتباع سنة نبيه ﷺ، نصرنا الله وثبتنا، ومكَّن لنا، وأنزل السَّكينة في قلوبنا ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد ٣/٢٩٦ (١٧٧٥)

تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة:٢٦]

والسَّكينة هي أقوى عوامل النصر، والرعب والهلع هو أشد عوامل الهزيمة.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وكان المسلمون على عهد نبيهم، وبعده، لا يعرفون وقت الحرب إلا السَّكينة وذكر الله سبحانه"(١).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٣٥٨.

السَّكينة في الحركة والمشي

قال الله ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان:٦٣]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: (وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا) بالحلم والسَّكينة والوقار، غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله"(١).

وقوله تعالى: (يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ) أي: حلماء متواضعين، يمشون في اقتصاد، وتؤدة وحسن سمت.

وكل ذلك من أخلاق النبوة، فقد جاء في صفته ﷺ أنه كان إذا مشى تقلَّع، أي: رفع الرِّجل بقوة، كأنما ينحط من صَبَبٍ(٢)، ويمشي هَوناً، ذريع المشية إذا مشى، أي: واسع الخُطا، كان يرفع في مشيه رجله بسرعة، ويمد خطوه، خلاف مشية المختال، وكل ذلك بسكينة ورفق وتثبت دون عجلة.

قال الزهري رحمه الله: سرعة المشي تُذهب بهاء الوجه.

قال ابن عطية رحمه الله: يريد الإسراع الحثيث لأنه يخل بالوقار، والخير في التوسط.

وَلَا تَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضُعًا ... فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هُمْ مِنْكَ أَرْفَعُ

وَإِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ وَحِرْزٍ وَمَنَعَةٍ ... فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمْ مِنْكَ أَمْنَعُ

ومن السَّكينة في المشي: السَّكينة في قيادة السيارة، فلا يؤذي الآخرين، ولا يلقي بنفسه في الهلكه؛ بسبب السرعة الزائدة، والاضطراب في القيادة.

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٩٣/١٩.

(٢) انظر: جامع الترمذي ٥٩٩/٥ (٣٦٣٨).

السَّكينة في السكن (البيت)

لما خلق الله ﷻ آدم عليه السلام وزوجه حواء، أسكنهما دار السَّكينة والسلام (الجنة) ، ثم هبطا منها إلى دار الدنيا، ومعهما السَّكينة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ...﴾ [الأعراف:١٨٩]

والزواج آية من آيات الله ﷻ، حيث خلق الذكر والأنثى، وجعلهم أزواجاً، وجعل بينهم مودة ورحمه، وجعل البيت مأوى وسكناً، قال الله ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

وموضع سكن الزوجين (البيت)، ويطلق عليه (السكن) ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم ...﴾ [الطلاق:٦]، وهو مشتق من السَّكينة.

إن البيت المسلم يحتاج إلى السَّكينة ضرورة واختياراً، **فأما ضرورة** فبجعل السَّكينة نواةَ تأسيسه، وركيزةَ إقامته.

وأما اختياراً فيكون بتربية أفراده على السَّكينة والسكون في القول والفعل، وأن يكون كل ما في البيت معيناً على تحقيقها.

إن السَّكينة ليست خمولاً وكسلاً، بل هي نشاطٌ وحيويه، وجدٌ ومثابره، وعملٌ واجتهاد، وكل ذلك في هدوء وسكينة.

إن رفع الأصوات والصراخ؛ يُناقض السَّكينة..

إن كثرة المشاكل بين الزوجين وافتعالها أحياناً؛ يُخالف السَّكينة، ويُقوِّض خيامها..

إن خلو البيت من العبادة وقراءة القرآن والذكر؛ يطرد السَّكينة..

إن انفراد أفراد الأسرة بأكل وشرب؛ يُخالف مبدأ السَّكينة والسكن، ولذا حث النبي ﷺ على الاجتماع على الطعام..

إن انعزال الأبناء والبنات في غرفهم، أو انعزال عقولهم بأجهزتهم مع حضور أجسادهم؛ يُضعف السَّكينة، ويُولد الوحشة والقلق، ويُغذِّي حبَّ الذات..

إن السَّكينة في البيت: كلمةٌ طيبةٌ، وفعلٌ حسنٌ، ويدٌ حانيةٌ، وملمسٌ دافيء، ونظرةٌ مشفقة..

إن السَّكينة في البيت: خفضٌ للجَناح، ورفعٌ للجُناح، عفوٌ وصفح، خدمةٌ ومساعدة، فعلُ معروفٍ، وكفُ أذى، وبذلُ ندى..

فالسَّكينة السَّكينة أيها الأزواج.. فالزواج مبني على المودة والسكن، ولا يتحقق هذا الوصف إلا في وجود السَّكينة في التعامل، والسَّكينة في المعاشرة، والسَّكينة في القول ولحن المَقال، وفي لحظ البصر والمُقل.

ولن تنزل السَّكينة إلا إذا كان الزوج والزوجة كما يحب الله ﷻ ويرضى.

السَّكينة في الأوطان

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦]

إن انتشار المعاصي الفواحش؛ مؤذن برحيل السَّكينة والطمأنينة، وحلول ضدها من الاضطراب والفوضى، وتسليط الجبابرة والعتاه ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢]

قال أبو عبيد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ) حاكياً حال أقوام سالفين:

"ثمّ تنبّأ فيهم ....، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون، ثمّ قبضه إليه فكثرت فيهم الخطايا والفواحش، وسلّط عليهم الجبابرة، **فأُخذت عنهم** السَّكينة... فمات ملكهم كمداً لذلك، ولم يزالوا مقهورين..."[(١)].

ومن السَّكينة في البلاد؛ اجتماع الناس على إمام واحد، إليه تسكن النفوس، وبه تزول الفوضى والاضطراب، فعن زياد بن علاقة قال: سمعت جرير بن عبد الله ﷺ قام يخطب يوم توفي المغيرة بن شعبة ﷺ – وكان أميراً على الكوفة – فقال: "عليكم باتقاء الله ﷻ، والوقار والسَّكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن"[(٢)]

وقد نهى النبي ﷺ عن الخروج على ولاة الأمر، لما في ذلك من المفاسد والشرور، فعن عرفجة الأشجعي ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ،**

(١) المسالك والممالك ١/ ١٢٤.

(٢) رواه أحمد ٣١/٤٨٩ (١٩١٥٢).

فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ"(١)

وفي رواية للنسائي(٢)،قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس، فقال: **"إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، أَوْ يُرِيدُ يُفَرِّقُ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَائِنًا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ"**.

قال ابن الأثير رحمه الله: "**(هَنَاتٌ)**: جمع هَنَة، وهي الخصلة من الشَّر، ولا تقال في الخير.

(يد الله على الجماعة): أي سكينته ورحمته مع القوم المتفقين المجتمعين.

(فإذا تفرقوا واختلفوا): أزال السَّكينة عنهم وأوقع بأسهم بينهم"(٣).

سئل الحسن البصري رحمه الله عن قتال الحجاج بعد أن ذكروا له ظلمه، وسفكه للدماء، وأخذه للأموال، فقال: "أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إن تكن عقوبة من الله؛ فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء؛ فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين"، وخطب في الناس رحمه الله فقال: "يأيها الناس إنه والله ما سلط الله الحجاج عليكم إلا عقوبة، فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف، ولكن عليكم السَّكينة والتضرع"(٤).

---

(١) رواه مسلم ٣/ ١٤٧٩ (١٨٥٢).

(٢) ٩٢/٧ (٤٠٢٠).

(٣) جامع الأصول ٣١/١٠ (٧٤٨٧).

(٤) الطبقات لابن سعد ١٢٠/٧.

السَّكينة في الأماكن العامة

منفعة الأماكن العامة مشتركة بين جميع الناس، لذا وجب على من يرتادها ويغشاها أن يلزم السَّكينة، ويتحلى بالوقار، فيستعمل مرافقها بأدب، ويخاطب من فيها بإحترام، وبأحسن الكلام، وقد أوصى النبي ﷺ من جلس في الطرقات أن يعطيها حقها فقال ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ"، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المِجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا"، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: **"غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ"**(١).

فليس من السَّكينة والأدب رفع الصوت في الأماكن العامة، فضلاً عن الأصوات النشاز التي تنادي على صاحبها بسوء الخِلال: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٩].

ومن السَّكينة: السَّكينة في الأسواق: فالأسواق مظنة الأصوات العالية، وفيها حركة مستمرة دائمة، وهذه طبيعتها ووصفها، ومن وصف النبي ﷺ أنه لم يكن سخاباً بالأسواق، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥]، قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، **لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ**، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ"(٢)

---

(١) رواه البخاري ١٣٢/٣ (٢٤٦٥).

(٢) رواه البخاري ١٣٥/٦ (٤٨٣٨).

السَّكينة عند الغضب

الغضب مثير للنفس، ومحرك لنوازعها، ومهيج للجوارح، يغير صفات الإنسان، ويخرجه من حال الانتظام، إلى الاضطراب، فتشتد رِعدة الأطراف، ويظهر الزبد على الأشداق، وتشتد حمرة الأحداق، وتنقلب المناخر، ويتخبط نظمه، ويضطرب لفظه، ويستحيل اللسان انطلاقاً بالقبائح من الشتم والفحش وغيرهما.

وتبدأ الأعضاء بالضرب فما فوقه، إلى القتل عند التمكن، فإن عجز عن التشفي، رجع غضبه عليه فمزق ثوبه، وضرب نفسه وغيره، حتى لا يسلم منه حيوان ولا جماد، وأما قلب الغضبان فقد امتلأ على المغضوب عليه حقداً وكمداً، فأظهر الشماتة بمساءته، والحزن بسروره، والعزم على إفشاء سره، وهتك ستره، والاستهزاء به، وغيرها من القبائح.

والغضبان لا يسمع الصوت، وإن سمع فهو لا يستطيع أن يميزه بسبب الغضب، وكل عند الغضب له مما ذكر من الصفات نصيب.

ولذا يحتاج الغضبان إلى ما يعيده إلى صوابه، وسابق حاله، يحتاج إلى سكون في جوارحه، وهدوء في روحه وجنانه، ولذا أمر الله بالاستعاذة به ﷻ من الشيطان الرجيم، فقال ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:٢٠٠]، وأوصى النبي ﷺ الغضبان بأن يستعيذ بالله ﷻ من الشيطان الرجيم، فعن عدي بن ثابت قال: سمعت سليمان بن صُرَدٍ قال: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ"** فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ

الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: **"تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ"** فَقَالَ: أَتُرَى بِي بَأْسٌ، أَمَجْنُونٌ أَنَا، اذْهَبْ[(١)].

وأمر النبي ﷺ من كان قائماً أن يجلس، ومن كان قاعداً أن يضطجع، فعن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لنا: **"إذا غضب أحدكُم وهو قائِمٌ فليجلِسْ، فإن ذهبَ عنه الغضَبُ، وإلا فلْيَضطَجِع"**[(٢)]، وأمر الغضبان بأن يتوضأ، قال رسول الله ﷺ: **"إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ"**[(٣)].

وكل هذا من شأنه أن يزيل حرارة الغضب وغليانه، فتنتقل نفس الغضبان من حال الاضطراب والحركة، وطلب البطش والانتقام، إلى حال السكون والدعة، ورجحان العقل، عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: **"لا تغضب"** فردد مراراً، قال: **"لا تغضب"**[(٤)]، فسكون الغضب يكون بالسكينة وبالسكوت، ولذا يقال في الأمثال: (سكن غضبه).

قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٤]، (وَلَمَّا سَكَتَ) أي: لما كف موسى عن الغضب وسكن[(٥)].

---

(١) رواه البخاري ٨/ ١٥ (٦٠٤٨)، ومسلم ٤/ ٢٠١٥ (٢٦١٠).

(٢) رواه أبو داود ٧/ ١٦٢ (٤٧٨٢).

(٣) رواه أحمد ٢٩/ ٥٠٥ (١٧٩٨٥).

(٤) رواه البخاري ٨/ ٢٨ (٦١١٦).

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ١٠/ ٤٦٦، ١٥/ ٣٤٩.

السَّكينة والليل

جعل الله ﷻ الليل سكناً ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام:٩٦]

فالليل تسكن فيه النفس، وتطمئن فيه الروح، وتهدأ فيه الحركة، فما أجمل الليل تزينه نجوم السماء، وتغشاه السَّكينة، فلا تكاد تسمع همساً.

في ظلمة الليل تجد السَّكينة طريقها للقلب، فيتصل بالملأ الأعلى؛ في صلاة وقيام، وذكر وقراءة قرآن، وعندها تتنزل السَّكينة والملائكة.

في الليل صفاء ذهن، وحضور قلب، وفي آخره سحر وسكينة، فاطلب لقلبك السَّكينة في المواضع التي تجد فيها اجتماع قلبك، وقوة إيمانك، واندفاع الوسواس عنك، ومزيد النور والهدى والسَّكينة.

السَّكينة والعلم

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ،**"(١)

ومعنى (يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ) "التدارس: أن يقرأ بعض القوم مع بعض شيئًا، أو يُعلِّم بعضهم بعضًا، ويبحثون في معناه، أو في تصحيح ألفاظه، وحسن قراءته"(٢).

وتعلم العلم يحتاج إلى سكينة ووقار؛ لينتفع المتعلم بعلمه، وليستفيد من معلمه وشيخه، فمن فقد السَّكينة والوقار؛ حُرم العلم وبقي في الجهل.

فإياك أن تطلب العلم بالجهل؛ قيل: كيف يطلب العلم بالجهل؟ قال: إذا قصدت العالم في غير وقته، وتخطيت الرقاب، وتركت في طلبه حرمة الشيوخ، ولم تستعمل فيه السَّكينة والوقار وأدب النفس، فذلك طلب العلم بالجهل(٣).

عن عمرو بن قيس الملائي قال: كان يقال: "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السَّكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، وليتواضع لكم من علَّمكم"(٤).

وعن عمران بن مسلم، أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الوقار والسَّكينة، وتواضعوا لمن تَعلمتم منه العلم، وتواضعوا لمن تُعلموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم"(٥).

---

(١) رواه مسلم ٤/٢٠٧٤ (٢٦٩٩).

(٢) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ١/ ٥٣٢.

(٣) انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري ٤/ ٤٣.

(٤) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي ص ٢٠٥.

(٥) شعب الإيمان للبيهقي ٣/ ٢٨١.

والسَّكينة في العالم زينة له، وحفظ للعلم، وسبب لأخذه عنه، عن إبراهيم بن يزيد النخعي قال: "كانوا إذا أتوا الرجل يأخذون عنه العلم، نظروا إلى صلاته، وإلى سمته، وإلى هيئته، ثم يأخذون عنه"(١).

وعن إسماعيل بن يحيى قال: رآني سفيان وأنا أمازح رجلاً من بني شيبة عند البيت، فتبسمتُ، فالتفتَ إليَّ فقال: "تبتسم في هذا الموضع، إن كان الرجل ليسمع الحديث الواحد فنرى عليه ثلاثة أيام سمته وهديه"(٢).

قال عبدالله بن المبارك:

مَا لَذَّتِي إِلَّا رِوَايَــةُ مُسْنَـدٍ ... قَدْ قَيَّدْتُ بِفَصَاحَةِ الْأَلْفَاظِ
وَمَجَـالِسٌ فِيهَا عَلَيَّ سَكِـينَةٌ ... وَمُـذَكَرَاتُ مَعَـاشِرِ الْحُـفَّاظِ
نَالُوا الْفَضِيلَةَ وَالْكَرَامةَ وَالنُّهَى ... مِنْ رَبِّـهِمْ بِرِعَـايَةٍ وَحِفَـاظِ

(١) سنن الدارمي ١/ ٣٩٨ (٤٣٥).

(٢)الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١/ ١٥٧.

السَّكينة وصف للنبي ﷺ

من تأمل سيرة النبي ﷺ ووصفه، وجد السَّكينة مصاحبة له في جميع أحواله، في عبادته لربه، وفي تعامله مع الناس، وفي جهاده للأعداء، ولذا قال عنه ربه ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ...﴾ [آل عمران:١٥٩].

وجاء في صفة النبي ﷺ في الكتب المتقدمة: "إني باعث نبيا أمياً، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال للخنا، أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، ثم أجعل السَّكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه"(١).

حلل السَّكينة والثبات لباسه ... والبر والإخلاص فيه شعاره(٢)

فليكن النبي ﷺ قدوتك في هذا الخصلة الجميلة، والخُلة الفريدة، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]، واكتسب السَّكينة بمخالطة أهل الفضل قراءة في سيرتهم، وحضوراً لمجالسهم، قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: "إن كنا لنأتي الرجل ما نريد علمه وحديثه، إنما نأتي لنتعلم من هديه وسمته ودله" والسمت: هو ما يكون عليه العبد من سكينة ووقار، وحسن سيرة وهيئة وطريقة.

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٧٢.

(٢) فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ٤/٣٠٢.

الخـــاتمـــة

ماسبق ذكره إنما هي أمثلة على مواضع وأسباب السَّكينة، وأنا على يقين أنَّكَ أدركت المقصود من المكتوب، وفهمت الرسالة من المضمُون، واللبيب بالإشارة يفهم.

فكن ذا سكينة في جميع شؤون حياتك التعبدية والدنيوية، وتحرى أسباب حصولها، واسأل الله ﷻ أن ينزلها على قلبك.

وإذا نزلت عليك السَّكينة؛ استقام حالك، وصلح بالك، وحصل السرور والأمن والدعة والراحة، وطيب العيش.

فَمِن أعظم نعم الله على عبده: تنزل السَّكينة عليه.

اللهم أنزل السَّكينة في قلوبنا، وأفرغ علينا صبراً، وثبتنا على الحق حتى نلقاك.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨]

فهرس الموضوعات

مقدمة ٢
معاني السَّكينة ومرادفاتها ٥
حقيقة السَّكينة ٦
السَّكينة فطرية أو مكتسبة ؟ ٨
السَّكينة في الاعتقاد ١٠
السَّكينة وقراءة القرآن ١٢
السَّكينة في الدعاء ١٤
السَّكينة في أداء العبادات وخاصة أركان الإسلام ١٥
- السَّكينة في الصلاة ١٥
- السَّكينة والخشوع في الصلاة ١٦
- السَّكينة في الصوم ١٧
- السَّكينة في الحج ١٧
- السَّكينة في تشييع الجنازة ١٨
السَّكينة في وقت الشدائد والمخاوف ١٩
- السَّكينة في الهجرة ١٩
- السَّكينة في الحديبية ٢٠
- السَّكينة يوم حنين ٢١
السَّكينة في الحركة والمشي ٢٤
السَّكينة في السّكن (البيت) ٢٥
السَّكينة في الأوطان ٢٧
السَّكينة في الأماكن العامة ٢٩

السَّكينة في الأسواق ٢٩
السَّكينة عند الغضب ٣٠
السَّكينة والليل ٣٢
السَّكينة والعلم ٣٣
السَّكينة وصفٌ للنبي ﷺ ٣٥
الخاتمة ٣٦
فهرس الموضوعات ٣٧